



تغنى بها حسان في الجاهلية فقال:

لله در عصابة نادمthem *** يوماً بخلق في الزمان الأول

وتعاطف أمير الشعراء معها عند نكتتها فقال:

سلام من صبا بردى أرق *** ودمع لا يكفكف يا دمشق

وكان نزار باراً بها كثيراً فأضحت نابتة في أكثر شعره:

فرشت فوق ثراك الطاهر الهدبا *** فيا دمشق لماذا نبدأ العتب؟
أنت النساء جميعاً ما من امرأة *** أحببت بعدك إلا خلتها كذباً

هي حاضرة الإسلام زمنبني أمية، وظئره في كل عهد وقرن، في كنفها عاش أئمة الإسلام، وعلماء الأمة، وأبدال الشام،
وصدق شوفي (وعز الشرق أوله دمشق).

من الطبقة المتعلمة المتوسطة في ربوعها انحدر ميشيل عفلق، وصلاح بيطار، درسا في (السوربون في باريس)، ثم عادا عام 1933 م يبشران بأفكارهما في وسط الطلاب والشباب، أصبحت هذه المناداة تجمعاً، ثم أصبحت حركة سياسية في بداية الأربعينيات الميلادية، حتى كان تأسيس حزب البعث في دمشق بتاريخ 7 نيسان / أبريل 1974 م تحت شعار أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة.

وفي 23 شباط عام 1966 منفذ عدد من الضباط الحزبيين انقلاباً على الحزب والدولة، تبني الحزب المنهج الاشتراكي وبذلك تبني لازماً تنظيم وطريقة الأحزاب الشيوعية، وهي أشبه بالتنظيمات الاستخباراتية منها إلى التنظيمات السياسية.
عصف بالشرق رياح عاتية، حاول قادة الحزب التكيف معها، حتى آل الأمر إلى ما سمي بخيار المقاومة والممانعة.
تحالف حكام سوريا مع إيران، وحزب الله، وآتوا المكتب السياسي لحركة حماس، فاجتمعت ألوية ثلاثة بينها من التباعد
ما بين المشرق والمغرب، حزب علماني اشتراكي لا يقيم للدين وزناً ولا يرفع به رأساً، ودولة عقدية تتبنى خياراً دينياً محضاً

وترفع شعار (ولاية الفقيه)، وحركة يدعى أصحابها أنهم خلفاء عمر في أمته، وهم يتحالفون مع قتله، ويؤتون إلى ديار يتبرأ حكامها من عمر وسيرته {يئس للظالمين بدلًا}، لكن قالت العرب من قبل: "إن المصائب يجمعن المصابين". شمت الثلاثة بعزيز مصر، وتنادوا مصيحين: (انتصرت ثورة الشعب المبين)، وباتوا على الأحلام يمنون أنفسهم بمجد تليد، دارة عجلة الثورة وأسرع قطارها ذهب من قبل بدهقان تونس، ففتحى عزيز مصر، وازداد مجنون ليبيا خيالاً، واضطربت آليات حكام اليمن، وأخرج له السعوديون يداً بيضاء، فرد التحية بمثلها، ومضى في سلام.

دائم القطار دمشق وما حولها، لم تتوقه درعاً بل رحب به، وشكك إلينه حالاً عظم بؤسها، واشتد كربها، وتمسك به محافظات عدة جعلت من دمائها وقوداً له، فأنى له أن يتوقف؟

أدرك ساسة حزب البعث أن هذا (يوم البعث) فلم يقلب في دفاتره القديمة لعلمه بأنها كالحة، لكنهم حاولوا أن يكتبوا صحفاً جديدة، فدونوا قرارات وأصدروا مراسيم لكن دون جدوى، فمن لم يرفع بالدين رأساً يمشيه الله منكباً على وجهه. أسرف حماة الحزب في سفك الدماء، وتلك عادة مذمومة حمل لواءها فرعون من قبل، لكن فرعون كان شجاعاً مع فساد معتقده، وخبيث طويته فهو يقول جهاراً: {لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف}، لكن ساسة حزب البعث وإعلامهم يقتلون في الظلم، ويتهمنون غيرهم في النهار، ويتسمون بالأسد، ولا خصلة تراها أعظم سفالاً، وأسوأ حالاً من الغدر والخيانة. إن لله سننا لا تتبدل ولا تتغير، فما كان الله ليهل حكامًا أربعين عاماً، ويملكهم نواصي الخلق في أرض مباركة، ثم يصدون عن دينه، ويقتلون أولياءه، ويرجون بعد ذلك منه نصراً أو عوناً (هيئات هيئات لما يؤملون).

أما الصفويون الفرس فقد حاولوا وما زالوا أن ينفعوا حليفهم بشيء لكن أين المفر والإله الطالب؟
وبقي رجال حركة حماس (صامتين)، ولن يبرا جرح رم على فساد، هكذا قال الحكماء، ونعم ما قالوا.

لقد كان ذلك الأعرابي أحكم طريقة من قادة حماس، إذ بنى أبرهة (القليس)، وشيدها، وأمر العرب بأن يحجوا إليها، فدنس الأعرابي بناء أبرهة، إذ عرف بداعه وفطرة وهو لا يرجو جنة ولا يخشى ناراً سفاهة ما بناه أبرهة، وابتلى آيات طهران بناء يحاكي الكعبة على قبر إمامهم (الخميني)، وجعلوا له صحنًا ومقامًا، لكن قادة حماس غاب عنهم صفاء ذهن الأعرابي، فقدموا على ضريح الخميني يعظمونه، رجاء أن يجدوا عندهم نصرة يعيدون بها سيرة عمر وصلاح الدين، وهل يبغض هؤلاء المعممون أحداً أعظم من عمر وصلاح الدين حتى ينصروكم لتعيدوا سيرتهم!!
إن من أعظم المصائب أن يصدق على أحد قول الله: {وأضله الله على علم}.

وما زالت الأيام حبل، ولا يدرى أي هؤلاء أول مصراعاً وأسبق هلاكاً، وإن كان الكل أقل ناصراً، وأضعف جنداً.
ونحن على يقين أن رجال حماس أجل مكانة، وأصدق إيماناً، وأكثر تضحية، وأعظم إخلاصاً، لا يقارنون بهاتين الطائفتين الضالتين أبداً، لكن وإن كنا نرجو لهم الخلاص والتوفيق لنقول: كان حقاً عليهم من قبل أن يجعلوا نصب أعينهم قول حافظ:

سقى الله في بطن الجزيرة أعظمًا *** يعز عليها أن تلين قناتي

المصادر: